

اِسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

22

الْمَحَارِقُ الْمُقْتَلَاةُ

الْمَقَامُ الْمَوْحِي

الْأَوَّلُ الْآخِرُ

تَرْجُومَةُ: د. وَجِيهَةُ يَحْيَى السَّيِّدِ

الطَّبْعُ: د. أَحْمَدُ بَنِي مُنْقَلَبٍ

# الفَخَاءُ الْمَقْتَدِرُ

بعد عودته من إحدى الغزوات ، جلس رسول الله ﷺ تحت شجرة ليستظل بها من وهج الشمس ، وعلق الرسول ﷺ سيفه على أحد فروع تلك الشجرة ، ثم نام نفوذا أمره إلى الله . وما هي إلا لحظات حتى جاء أحد المشركين ، فتسلل دون أن يشعر به أحد من المسلمين ، حتى أمسك بسيف الرسول ﷺ ، فاستيقظ الرسول ﷺ على صوت المشرك وهو يقول مهذا الرسول ﷺ :

- تخافني ؟

فقال الرسول ﷺ في ثقة و يقين :

- لا .

فَقَالَ الْمُشْرِكُ فِي تَعَدٍّ وَغُرُورٍ :

- فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟

فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ :

- اللَّهُ .

فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِ الْمُشْرِكِ ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

وَقَالَ :

- مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟

فَقَالَ الْمُشْرِكُ :

- كُنْ خَيْرَ آخِذٍ .. فَأَنْتَ الْحَلِيمُ الَّذِي يَغْفِرُ عِنْدَ

الْمَقْدَرَةِ .

وَعَاهَدَ الرَّجُلُ الْمُشْرِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَلَّا يَقَاتِلَ

خِدَّةً أَبَدًا إِذَا تَرَكَهُ ، وَمَا كَانَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ الَّذِي نَجَا

بِقُدْرَةِ اللَّهِ ، إِلَّا أَنْ عَقَا عَنِ الْمُشْرِكِ بِرَغَمِ مَقْدَرَتِهِ عَلَى

عِقَابِهِ وَالْقِصَاصِ مِنْهُ .

فَسُبْحَانَ الْقَادِرِ الْمُقْتَدِرِ ، الثَّامِّ الْقُدْرَةَ ، الَّذِي لَا يَمْنَعُ

عَلَيْهِ شَيْءٌ ، وَلَا يَحْتَجِزُ عَنْهُ شَيْءٌ ، فَهُوَ ذُو الْقُدْرَةِ الْمَطْلُوقَةِ ،

وهو الذى إن شاء فعل ، وإن شاء لم يفعل ، بيده ملكوت كل شيء ، وهو على كل شيء قدير ، وهو المستغنى بقدرته وعلمه وعظمته عن كل خلقه ، بينما يحتاج إلى قدرته كل الخلق .

قال ( تعالى ) :

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيَذِيقَ بَعْضُكُمْ بِأَسْ بَعْضٍ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصْرُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ .

( سورة الأنعام : ٦٥ )

فَاللَّهُ ( تعالى ) هو وحده **القادر** على أَنْ يَخْلُقَ وَأَنْ يَرْزُقَ وَأَنْ يُخَيِّ وَيُمِيتَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ وَيَحْأَسِبُ وَيُجَازِي ، وهذه حقائق لا يمكن إنكارها ، فاللَّهُ ( تعالى ) له مطلق صفات الكمال والجلال .

قال ( تعالى ) :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ \* خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ \* إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ .

( سورة الطارق : ٥ - ٨ )

وعلى الرغم من قدرة الله (تعالى) المطلقة التامة ،  
ومقدرته على أن يفعل ما يشاء ، فهو سبحانه الرحيم  
الودود ذو المغفرة ، الذي تسبق رحمته غضبه ، وتسبق  
مغفرته عقابه ، فهو يمهّل عباده المذنبين والعصاة ، أملاً  
في أن يعودوا إلى رحابه . والآيات القرآنية والأحاديث  
الشريفة ، تؤكد أن الله يمهّل الظالم - برغم قدرته على  
الانتقام منه - وذلك لحكمة يعلمها الله .

فقد أمهل الله فرعون كثيراً ، وأعطاه الوقت الكافي  
لكي يتدبر حاله ، لكنه تجبر وتكبر في الأرض بغير الحق ،  
فقتل الأطفال والنساء ، ولما دعاه موسى ﷺ للإيمان بالله ،  
سخر منه ، وقاتله ، وأمر بقتل المؤمنين برسالة  
موسى ﷺ ، ولما حان وقته أخذ الله أخذه عزيز **مقتدر** .

قال (تعالى) :

﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ \* كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا  
فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ ﴾ . (سورة القمر : ٤٠ ، ٤١)

فبعد أن كذبوا بكل المعجزات التي أظهرها الله على يد  
نبيه ، أخذهم الله أخذه عزيز : أي غالب في انتقامه ،

**مُقْتَدِرٌ** : أى قادر على ما أراد ، وقد اقترن العزيز بالمُقْتَدِر في هذه الآية ، لأن العزيز بغيره هو الغالب على العدو والظافر عليه ، لكن العدو قد يتمكن من الهرب والاختفاء إذا أمكنه ذلك ، لكن قوله ( تعالى ) : ﴿ **عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ** ﴾ دل على أن الله إذا أخذ الظالم أخذه وهو **قادر** على ذلك ، في غير ضعف أو عجز عن إتمام مراده مهما كانت قوة المراد وأساليبه .

وكان من دعاء الرسول ﷺ قوله :

«اللهم إني أَسْتَخِيرُكَ بعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ  
وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ ، وَتَقْدِرُ  
وَلَا أَقْدِرُ ...» .

فَاللَّهُمَّ اغْفُ عَنَّا بِقُدْرَتِكَ ، وَآخِ نُفُوسَنَا وَقُلُوبَنَا  
بِمَشِيئَتِكَ ، فَأَنْتَ تَقْدِرُ وَلَا نَقْدِرُ ، وَأَنْتَ **الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ** ،  
الذى يقول للشئ كن فيكون .

# المَقَامُ الْمَوْخَرُ

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ ، يَحْرُسُ عَلَى ارْتِفَاعِ مَنْزِلَتِهِ وَتَقْدِمِ رُتْبَتِهِ وَمَكَانَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْاجْتِهَادِ وَالْجِدِّ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَفِعْلِ الْخَيْرَاتِ ، فَكَانَ يَعِدُّ رُبَّهُ فِي هِمَّةٍ وَعَزِيمَةٍ وَإِخْلَاصٍ ، فَكَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ وَيُصَلِّي حَتَّى تَصُورَ قَدَمَاهُ ، وَيُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يُصَابَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَقَدْ قَدَّمَهُ اللَّهُ عَلَى سَائِرِ خَلْقِهِ ، فَأَعْلَى مَنْزِلَتِهِ ، وَرَفَعَ مَكَانَتَهُ .

قَالَ (تعالى) :

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ \* وَوَضَعْنَا عَنَتَكَ وَزَرَك \* أَلَمْ نَقْضْ ظَهْرَكَ \* وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ . (سورة الشرح : ١ - ٤)

قال ابن عباس : يقول له الله : لا ذُكِرَتْ إلا ذُكِرَتْ  
معي في الأذان ، والإقامة ، والتشهد ، ويوم الجمعة على  
المنابر ، ويوم الفطر ، ويوم الأضحى ، وأيام التشريق ،  
ويوم عرفة ، وعند الجمار ، وعلى الصفا والمروة ، وفي  
مشارق الأرض ومغاربها .

وكان الرسول ﷺ يعلم أن **المقدم** : أي الذي يقدم  
الصالحين والأتقياء ويقرّبهم إليه هو الله ، وأن **المؤخر** :  
الذي يؤخر رتبة من يشاء ، ويبعد من يشاء ، هو  
الله ( تعالى ) ، ولذلك فقد كان يلجأ إليه لكي يقرّبه إليه  
ويقدمه . فكان يدعو ربه بقوله : « اللهم اغفر لي  
خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به  
مني ، اللهم اغفر لي خطيأي وعمدي ، وجدّي وهزلي ،  
وكل ذلك عندي ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ،  
وما أسررت وما أعلنت ، أنت **المقدم** وأنت **المؤخر** ،  
وأنت على كل شيء قدير » .

(رواه البخاري)

فمبّحان **المقدم** لمن يشاء من عباده بالتقوى والإنابة  
والاستغفار ، ومبّحان الذي يقدم بعض الأشياء ويفضلها  
على بعض ، ومبّحان من يقدم بعض الأشخاص ويفضلهم



على بعض ، فالله يقدم الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء على غيرهم . وسبحان من يؤخر بعض الناس عن بعض في الفضل والمكانة . ولا ينبغي لأحد أن يقدم بين يدي الله ورسوله ، فيرفض أمراً من أوامر الله ورسوله ، أو يأخذ أمر دينه من مصدر آخر غير القرآن والسنة .

قال (تعالى) :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ . (سورة الحجرات : ١)

والله (تعالى) **المقدم والمؤخر** ، هو الذي يقدم الثواب والرحمة والمغفرة أولاً ، ويجعل العقاب في المقام الأخير ، فهو يعطي الفرصة لعبده لكي يثوب إلى رُشدِه .

قال (تعالى) :

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا  
يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (سورة إبراهيم : ٤٢)

والله (تعالى) جعل لكل إنسان عمراً محدداً ،

فإذا انتهى الأجل ، فلا يستطيع أحد أن يؤخر فيه لحظة ، كما لا يستطيع أن يقدمه قبل مواعده .

قال ( تعالى ) :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ .  
(سورة الأعراف : ٣٤)

والإنسان العاقل هو الذي يقدم طاعة الله وفعل الخيرات على كل ما سواه ، فلا يظل يؤخر فيها ويتهاون ويقول : غدا أفعل الصالحات ، لأنه لا يضمن أن يحيا إلى الغد ، كما أن هناك أشياء يجب أن يضعها الإنسان في أولوياته وهي طاعة الله وبر الوالدين وعمل كل ما هو مفيد وصالح للإنسان وأهله ووطنه ، فلا ينبغي أن يؤخر الإنسان أي عمل من هذه الأعمال .

قال ( تعالى ) :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ \* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* ﴾

(سورة الحشر : ١٨ ، ١٩)

وقال (تعالى) :

﴿وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ .  
(سورة الزمل : ٢٠)

واسمُه (تعالى) **«المقدم»** ، يقترون باسمه (عز وجل) **«المؤخر»** ، لأن معناهما يتضح إذا كانا مقترنين معاً ، لأن ذلك دليل على قُدرة الله المطلقة ، فهو سبحانه يقدم من يشاء بالطاعة ، ويؤخر من يشاء بالمعصية ، فالأمور جميعها بيده (تعالى) ، فلا يملك أحد أن يتقدم أو يتأخر إلا بإذنه . فالذي يتقدم إنما يتقدم بفضلِهِ ، والذي يتأخر إنما يتأخر بقُدْرته ومشيئته وعلمِهِ ، حيث علم (سبحانه وتعالى) أنه يستحق ذلك .

اللهم اغفر لنا ما أسرونا وما أعلنّا ، وما أنت أعلم به منا ، اغفر لنا خطايانا ، وارفع درجاتنا وقربنا إليك ، أنت **المقدم** وأنت **المؤخر** ، وأنت على كل شيء قدير .

# الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ

يقول (تعالى) في مُحْكَم آيَاتِهِ :

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾  
(سورة الحديد : ١ - ٣)

وَالْأَوَّلُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ (تعالى) سَابِقٌ لِلْأَشْيَاءِ كُلِّهَا ، وَلَمْ يَكُنْ لَشَيْءٍ أَيْ وَجُودٌ قَبْلَهُ ، إِذْ إِنَّهُ (تعالى) كَانَ مَوْجُودًا وَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ أَوْ مَعَهُ .

وَالْآخِرُ مِنْ أَسْمَاءِهِ (تعالى) الْحُسْنَى وَمَعْنَاهُ : أَنَّهُ (تعالى) لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ ، فَهُوَ آخِرٌ بِلَا انْتِهَاءٍ ، وَهُوَ

لا يجوزُ عليه القضاء ، كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهه .

قال (تعالى) :

﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ .  
(سورة غافر : ١٥ ، ١٦)

فعند فناء الخلق ، ينادى مناد : لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟  
فيقول العبادُ مؤمنهم وكافرهم : لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ، الْحَيُّ الْبَاقِي الَّذِي لَا يَمُوتُ .

ولذلك مجدُّ رسولِ الله ﷺ يدعُو ربّه بأسمائه الحسنى ومن بينها : **الأولُ والآخرُ** ، ويأمرُ أصحابه أن يدعُوهُ بهما لكي يفتحَ لهم أبوابَ الإجابة .

قال رسولُ الله ﷺ :

« قُولُوا اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، مَنَزِلَ الثُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ »

أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ ، أَنْتَ الْأَوَّلُ لَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ،  
وَأَنْتَ الْآخِرُ لَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ  
فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ، أَقْضِ عَنِي  
الَّذِينَ ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ .  
(رواه الترمذی)

وَالَّذِي يَنْظُرُ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ النَّبِيُّ الشَّرِيفُ ، وَيَتَعَمَّقُ  
فِي مَعَانِيهِ ، يَرَى أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ ، يُرْشِدُ أُمَّتَهُ إِلَى اللُّجُوءِ  
إِلَى اللَّهِ ، لِأَنَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، الَّذِي بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ ،  
وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ السَّمَاوِيَّ ، هِدَايَةً لِلنَّاسِ ،  
وَانْقِاذًا لِحَيَاتِهِمْ ، وَهِيَ - عَلَى تَبَاعُدِ الزَّمَنِ بَيْنَهَا - صَادِرَةٌ  
مِنَ اللَّهِ (تَعَالَى) الْأَوَّلِ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ ، الْآخِرِ  
الَّذِي لَا يَفْنَى ، بَلْ هُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ .

وَقَدْ رَكَّزَ الرَّسُولُ ﷺ فِي دُعَائِهِ عَلَى قَضَاءِ الدِّينِ ، سَوَاءً  
أَكَانَ دِينًا لِلْبَشَرِ أَوْ لِلَّهِ (تَعَالَى) ، فَدِينُ الْبَشَرِ يَقْضِيهِ اللَّهُ  
بِإِغْنَائِهِ لِلْإِنْسَانِ لِكَيْ يَسُدَّ مَا عَلَيْهِ ، وَدِينُ اللَّهِ يَكُونُ  
بِتَوْفِيقِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ لِكَيْ يَعْبُدَهُ وَيُؤَدِّيَ مَا عَلَيْهِ مِنْ قَرَائِنِهِ .

وَلَمَّا دَخَلَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَيْضًا الْأَلْفَاظُ وَالْمَعَانِي الْمَلِيئَةُ  
بِالْخُشُوعِ لِلَّهِ ، فَالرَّسُولُ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو رَبَّهُ يُظْهِرُ ذَلِكَ

وخضوعه لله ، وعلى قدر خشوع الإنسان في دُعائه ،  
على قدر استجابة الله لدُعائه .

فالإنسان الذي يدعُو ربه ، ويستغفره من ذنوبه ، ويشعرُ  
بأن ذنبه ثَقِيلٌ لا يَمْحوهُ إلا الله الغفور الرحيم ، أفضلُ من  
الإنسان المغرور الذي يظنُّ أنه بلا ذنب . وقد قال العلماءُ  
في هذا الشأن :

— سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ ، قَرِيبٌ  
سَيِّئَةٍ أَوْرَثَتْ الْإِنْسَانَ ذُلًّا وَانْكِسَارًا ، تَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ  
حَسَنَةٍ تَوَرَّثَ عَجْبًا وَاسْتِكْبَارًا .

وكيف يستكبرُ الإنسان ، وهو أمامَ الله (تعالى)  
العظيم بصفاته العُظْمَى ، التي لا توجدُ في أحد ، فهو  
القادرُ المقتدرُ ، السَّلامُ المزمِنُ المهيمنُ العزيزُ الجبارُ  
المتكبرُ ، الأولُ الآخرُ الظاهرُ الباطنُ ؟

قال (تعالى) :

﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ  
وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

وكان الرسول ﷺ يدعو ربه في خشوع وإقرار بقدرته وعظمته قائلاً :

« يا كائن قبل أن يكون شيء ، والمكون لكل شيء ،  
والكائن بعد ما لا يكون شيء ، أسألك بلحظة من لحظاتك  
الحافظات ، الغافرات ، الرأجيات ، المنجيات .  
اللهم إنا نُقرُّ بضعفنا وعجزنا ، ونلجأ إليك وحدك ،  
فأنت الأول الذي ليس قبله شيء ، وأنت الآخر الذي ليس  
بعده شيء ، وكل شيء هالك إلا وجهك الكريم ، ندعوك  
أن تُفَقِّهنا في ديننا ، وأن تجعلنا ممن يعرفون أسرار  
أسمائك الحُسنى وصفاتك العُظمى ، إنك على كل شيء  
قدير ، وبالإجابة جدير !! »